الأستاذة: لمياء عيطو

مقياس: النص الأدبي الحديث

المحاضرة موجهة لطلبة السنة الثانية دراسات لغوية (الفوج 03/02/01)

المحاضرة العاشرة: فن الرواية

بدايات الفن الروائي:

في القرن الثامن عشر ميلادي، وفي إنجلترا، أصبحت الرواية شكلا ثابتا من أشكال الأدب، وبدأت تنفرد بملامح خاصة بها كالحبكة والموضوع وتقنيات القص...أما في الأدب العربي، فقد أرخ بعض الباحثين لظهور الرواية بمعناها الفني بالربع الثالث من القرن التاسع عشر، من خلال الترجمة التي وضعها رفاعة الطهطاوي لرواية "مغامرات تيلمياك" للكاتب الفرنس ي "فرانسوا دي فينيلون" تحت عنوان "وقائع الأفلاك في أخبار تيلمياك" سنة 1867 م. وهناك من اعتبر روايات "جورجي زيدان" و"فرح أنطون" التاريخية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، البداية الفعلية للرواية العربية. ويرى فريق ثالث أن رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل التي كتبها عام 1914 هي أول رواية عربية مكتملة الملامح الفنية.

وهناك نصوص سبقت رواية" زينب "بسنوات طويلة يرى الدارسون أنها قريبة جدا لفن الرواية؛ على غرار "حكاية العشاق في الحب والاشتياق " للجزائري الأمير محمد بن إبراهيم بن مصطفى باشا سنة 1849 ، و"غابة الحق "التي كتبها فرانسيس مراش الحلبي سنة 1865 ، ورواية" الهيام في جنان الشام "لسليم البستاني التي ظهرت سنة 1870 ، ورواية" علم الدين "وهي من تأليف علي مبارك سنة 1882 ، ت الكاتبة اللبنانية زينب بنت فواز برواية" حسن العواقب."

وفي الجزائر، تعد رواية" ريح الجنوب "لعبد الحميد بن هدوقة البداية الفعلية والحقة لهذا الفن، حيث مثلت هذه الرواية التي كتبت سنة 1971قفزة حقيقية للنهوض الروائي الفني في الجزائر، كما ترك هذا الكاتب روايات أخرى لا تقل جمالا وقيمة عن روايته الأولى، فكتب سنة 1975 رواية" نهاية الأمس"، وفي سنة1981 رواية "بان الصبح"، وألف رواية" الجازية والدراويش "سنة 1983

وعقب الحرب العالمية الأولى ومع بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، بدأت الرواية العربية تأخذ سمة فنية أكثر واقعية ونضجا وأعمق أصالة، على يد كتاب متأثرين بالثقافة الغربية؛ أبرزهم طه حسين(الأيام، دعاء الكروان، شجرة البؤس، أحلام شهرزاد)، توفيق الحكيم(يوميات نائب في الأرياف، عصفور من الشرق ، عودة الروح)، عبد القادر المازني(إبراهيم الكاتب)، محمود تيمور(نداء المجهول ، سلوى في مهب الريح)، عيس ى عبيد(ثريا)وطاهر لاشين(حواء بلا آدم...) ثم جاءت روايات الأربعينيات والخمسينيات لتحدث نقلة بارزة في

الكتابة الروائية، على يد جودة السحار، يوسف السباعي، إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ .ولقد كان لهؤلاء الرواد دور عظيم في تمهيد الطريق لجيل ما بعد الحرب العالمية الثانية، ليصبحوا أكثر إحساسا بالواقع وبالطبقات العميقة من المجتمع.

مفهوم الرواية:

الرواية فن نثري له مكانته في الساحة الفنية الإبداعية والقرائية، فهي تتصل بزمن الحدث الاجتماعي، السياسي، النفسي ...وغيرها، إنها تنتقل من الواحد(الكاتب) إلى المتعدد (القراء)، ولها لغتها الخاصة ورؤى استجابة لما كان من معطيات موقفية، وما يترتب عنها من ملازمة من الوعي بالمعطى الحدثي والوعي المحدث به وما يتولد عنه، ومراعاة فكرة التأثير والتأثر وما تعكسه من روية حضورية تجعل من هذا الفن يرتكز على علاقات توليدية وعلامات زمنية وصور تمثيلية وإشارات دلالية. ومهما يكن من أمر فإن الرواية درت ما لم تدره الأجناس الأخرى، منطلقة من التجارب الفردية للولوج إلى البؤر الجمعية متكئة على العلاقات المتشابكة والمتشاكلة والأنماط المتعددة المنبثقة من الذات الفردية والباحثة عنها، مع التفاعل مع كل ما هو قومي(الواقع، الهوية، الحدث..الخ)، مع تقديم مواقف نقدية من الواقع في ظل رؤى استشرافية لما هو مأمول فيه.

الرواية جنس أدبي سوي: له زمن تاريخي وتحديد عصري معايير خاصة وتقنيات مميزة.

الرواية جنس أدبي لقيط: وذلك لتكامل تكامل المعارف فيها وتلاقحها فهي تأخذ من: التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع الفلسفة والفكر والأسطورة(القصص/الأديان)، لتنتج روايات تاريخية ونفسية واجتماعية وفلسفية وعجائبية وغيرها ...

الرواية فن تناوله العديد من الدارسين كل وفق تصوراته ورؤاه، تعاريفها تعيد النظر في كل متعددة ولا يمكننا الجزم بوجود تعريف شاف كاف لها كونها الأشكال التي استقر فيها تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفا جامعنا مانعا أمام القارئ، كما أنها تتسم بأنظمة كلية وموضوعية وشاملة أو ذاتية، تستعير معمارها من بنية المجتمع، وتفسح مكان التعايش فيه لأنواع الأساليب، كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضة جدا، إنها كما سلف الذكر ترتكز كتجربة فنية على المجتمع بوصفه نواة لها سواء أكان مؤيدا أو معارضا لمتنها، علاوة على كونها تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية(قصص، أشعار، مقاطع كوميدية)، أو خارج المجال الأدبي (دراسات سلوكية، نصوص علمية، أو أدبية..)، فإن أي جنس تعبيري

يمكنه أن يدخل إلى بنية الرواية، وليس من السهل العثور على جنس تعبيري واحد لم يسبق له في يوم ما أن ألحقه كاتب أو آخر بالرواية.

وظائف الرواية:

إن الخطابات الموظفة في البناء الروائي ما هي – في تصورنا -إلا حزمة من المدركات الحسية والمعرفية والثقافية يعيد الفرد إخراجها وفق رؤاه ووفق التيارات التي يراها مناسبة، فيسهم في دفع مكنون وظائف عدة لذاك الإخراج منها:

- وظيفة تصويرية: تصوير رؤى ذاتية أو مجتمعية موحدة في مشاهدها أو غير موحدة
- وظيفة تحريرية: تحرير الفرد من سلطوية ما.
- وظيفة توعوية: التوعية بالحيز الحدثي وبالتجربة انطلاقا من الجوهري وصولا إلى العرضي أو العكس.
- وظيفة إدراكية: إدراك جمالية وفنية اللغات داخل المجتمعات وفي التراث المكتوب والشفوي.
- وظيفة حوارية: حوارية المقاربات القرائية المتعددة القابعة في جيوب أسئلة الحياة أو بدائلها.
- وظيفة استكشافية: يتم في ضوئها كشف إيحاءات مسارية الحدث بمختلف تجلياته المادية والفكرية والوجدانية.

الرواية التاريخية:

اقترن ظهور الرواية التاريخية بما كتبه جورجي زيدان الذي اتجه في كتاباته صوب التاريخ العربي والحضارة الإسلامية متخذا منه مادة لمضامين أعماله الروائية والعمل على إعادة صياغته بطريقة فنية تسهل قراءته من قبل القراء والمثقفين، مقدما عددا من الروايات التاريخية التي تضم في ثنايا البناء القصصي جانبا من التاريخ الإسلامي مثل(فتاة غسان) لعرض الأحداث التاريخية التي صاحبت الغزوات الإسلامية الأولى و(أرمانوسة المصرية) بيانا لما صاحب فتح العرب لمصر من أحداث و(عذراء قريش) و(غادة كربلاء) تأريخا للصراع السياسي في العصر الأموي، وله أيضا أعمال أخرى أرخت بطريقة فنية لأحداث كثيرة متصلة بالأحداث التي واكبت التاريخ الإسلامي مِن مثل (فتاة القيروان) و(شجرة الدر) و(فتح الأندلس).

قامت الروايات التاريخية على عنصرين أساسيين: الأول **عنصر تاريخي** يعتمد على الأشخاص والحوادث والثاني **عنصر خيالي** مبني على علاقة غرامية تنتهي بانتهاء الأحداث التاريخية في متن الرواية؛ ولذلك لا يمكن عد روايات جرجي زيدان التأريخية تراجم لشخصيات إسلامية؛ لأن المعنى المتعارف عليه للتراجم يدل على سرد موثق لحياة علم من الأعلام من مولده إلى وفاته بدون تدخل للخيال في سرد حياة الذات، وهذا ما لا ينطبق على مفهوم(العمل الروائي)حيث يمثل عنصر الخيال مكونا أساسيا من مكوناته، والعملية

مرهون نجاحها بما يحققه الكاتب الروائي من اختيار للأحداث وحسن عرض لها ومراعاة الانسجام بين شخصياتها، حتى تتميز شكلا ومضمونا عن المدونة التاريخية .لقد اعتمد جرجي زيدان في عرض أحداثه رواياته أسلوبا يسرح في خياله ما شاء، مع أن الخيال المسموح به ههنا، في اعتقاد البعض، ينبغي ألا يتصل بالشخصيات الرئيسة أو بالأحداث الكبرى، وكل ما يجريه المؤلف من أقوال على لسان أحد أبطال عمله بلا سند تاريخي يحسب عليه في نهاية المطاف.

الرواية الفنية:

لقد لبس هذا الفن ثوبا جديدا، فكان العصر الحديث عصر نهضة وتطور نتيجة الاحتكاك بالغرب فكان للترجمة نصيبها وحظها الأوفر في التأثير حتى صار الأدباء ينسجون على منوالها فحاول الأدباء أن يمصروا الفن القصصي وكل ذلك أدى إلى الإبداع والابتكار وأن الرواية العربية وليدة الثقافة العربية فبعد الحرب العالمية الأولى ظهرت أول محاولة في القصص الحديث حين حاول الأدباء الابتكار دون أن يترجموا أو يتأثروا تأثرا مباشرا بالأدب الغربي، وتنوعت هذه المحاولات الفنية في عالم القصة، فمن الأدباء من حاول النسج القصصي ولكنه في إطار قديم من البلاغة اللفظية والسجعة المستملحة مثل المويلحي في" حديث عيس بن هشام "ومنهم من حاكى التاريخ القصصي في تراثنا في صورة جديدة متحررا من النسج القديم سواء في الموضوع أو الأسلوب مثل محمد فريد أبو حديد وأحمد ب اكثير وعلي الجارم.

ظلت الكتابات الأولى محاكاة و تصويرا إلى أن كتب محمد حسين هيكل رواية زينب فحملت ملامح الابتكار والتجديد عل مستوى الموضوع والأسلوب، أضف إلى ذلك ترجمتها للروح المصرية الخالصة، كانت رواية زينب فاتحة الفن الروائي في مصر إلا أن هناك اعتراض عن كونها فاتحة الفن الروائي، فبطرس البستاني يشير إلى الموقف المتناقض لصاحبها، فهو لم يجرؤ في البداية على تسميتها رواية، ثم يعدها في مواضع أخرى فتحا جديدا في الأدب المصري، ويرى بطرس أن هذه الرواية تتميز بميزتين هما :الفردية... والوطنية والمصرية.

الرواية الجزائرية:

يرجع سب تأخر ظهور الرواية الجزائرية إلى كون هذا الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل وإلى صبر وأناة ثم يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء به .وفي مقدمة هذه العوامل أن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة القومية أدبا عربيا اتجهوا إلى القصة القصيرة لأنها تعبر عن واقع الحياة أثناء الثورة التي أحدثت تغيرا عميقا في الفرد فكان أسلوب القصة ملائما للتعبير عن الموقف أو عن اللحظة الآنية وعن التجربة المحدودة بحدود الفرد.

من الأسباب التي أدت بتأخر الرواية في الجزائر المستعمر بالدرجة الأولى، إضافة إلى صعوبة الفن الروائي الذي يحتاج إلى صبر وتأمل وفي ظل المستعمر لم تكن لتتاح لهم الفرصة، فاتجه الكتاب إلى الاهتمام الكتاب بكتابة القصة القصيرة كونها سهلة الأسلوب تعبر عن تجاربهم المحدودة أما الرواية فإنها تعالج قطاعا من المجتمع من المجتمع، رحابة واسعة، لشخصيات تختلف اتجاهاتها ومشاربها تتفرع تجاربها وتتصارع أهواؤها ومواقفها، ومن ثم كان الكاتب يحتاج إلى تأمل طويل ...ثم أن الرواية تتطلب لغة طيعة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة وهذا ما لم يتوفر لها إلا بعد الاستقلال ...وفوق هذا فإن كتاب الرواية الجزائرية لم يجدوا أمامهم نماذج جزائرية يقلدونها أو ينسجون عل منوالها كما

كان الأمر بالنسبة للكتاب باللغة الفرنسية الذين وجدوا تراثا غنيا ونماذج جيدة في الأدب الفرنسي.

اعتبرت "غادة أم القرى "البدايات الأولى للفن الروائية الجزائرية، ولكن ذهب بعض النقاد أن الرواية من السبعينيات، بالرغم أن هناك بذورا ظهرت بعد لحرب العالمية الثانية يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة للرواية العربية الجزائرية سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها بنائها الفني، فهناك قصة مطولة بعض الشيء كتبها "أحمد رضا حوحو "وسماها" غادة أم القرى"وتعالج وضع المرأة ولكن في البيئة الحجازية.

وعلى الرغم من كتابتها في بيئة حجازية إلى أنها كانت تعالج موضوع المرأة الجزائرية والكبت الذي كانت وتعاني منه، فقد أهداها" أحمد رضا حوحو "إلى المرأة الجزائرية قائلا: إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب، من نعمة العلم، من نعمة الحرية... إل تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود، إل المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة، تعزية وسلوى.